

الصَّليب في كنيسة المشرق

الأب إسحاق أدونيه تمرس

المقدمة

إن معنى الصَّليب في الكنيسة الجامعة مرتبطٌ ارتباطاً حقيقياً بشخص يسوع المسيح الذي غير من معناه في حضارة الإنسان، فالصَّليب هو مدخل "أبن الإنسان" إلى تاريخ البشرية جمعاء. لهذا فالْبُعد التاريخي الحضاري للصليب هو المحور الأول لمعرفة مكانته في تاريخ البشرية، ومن ثم معناه الحقيقي كما في الكتاب المقدس، والذي جسّد لكل المعاني والمفاهيم اللاهوتية من خلال الليتورجية المشرقية، واكتماله بسرّ من أسرار "كنيسة المشرق".

أولاً: البُعد التاريخي للصَّليب

اننا نجد صورة الصَّليب وشكله، في عدة حضارات وقد سبقت ميلاد المخلص بما يقارب 1500 سنة، كحضارة بلاد الرافدين، والحضارة المصريّة وحتى الحضارة الصينية. لكن معناه سيختلف استناداً لكل مرحلة من تلك المراحل في التاريخ الإنساني. لن نتطرق إلى شرح هذه المراحل التاريخية، في هذه المناسبة. لكن سنستعرض معنى الصَّليب في زمن يسوع المسيح. "كان الصَّليب في البداية عبارة عن خشبة يُعَدَم عليه المجرم، أو مجرد عمود يُعلّق عليه المجرم حتى الموت من الجوع والاجهاد. أصبح في عهد الرومان عموداً تُثبَّت في طرفه الأعلى خشبة مستعرضة فيصبح على شكل حرف "T"، أو قد تكون الخشبَتان المتقاطعتان متساويتين، على شكل حرف "X". استخدم الاسكندر الأكبر الصَّليب وسيلة للإعدام في الشرق نقلاً عن الفرس، الذين على الاغلب كانوا قد أخذوه عن العمود الذي كان يستخدمه الآشوريون"¹. أن الكثير من الدراسات الكتابية تؤكد أن الصَّليب لم يكن وسيلة للإعدام في العهد القديم. حيث استخدمت طرق أخرى كانت مُتبعة في الشرق ومنها: رفع الرأس على خشبة والطيور تأكله (تك18:40-19)، قطع الرأس (1صم9:31-10)، يُصلب

¹-مجموعة من المؤلفين، دائرة المعارف الكتابية، الطبعة الثانية، منشورات دار الثقافة، القاهرة، سنة 1999، الصفحة 29-30.

على عارضة البيت (عز6:11). لكن من خلال سفر التثنية (21:22-23) التعليق على الشجرة والدفن، سنجد اختلافاً في الخصوصية الإيمانية لشعب إسرائيل. ويتكرر الحدث في (يش8:29، 10:26-27). وهذا يتطابق مع (يو19:31، وغل3:13). من خلال هذه النصوص نجد ان عملية الصّلب الكتابيّة توضّح الكيفيّة والطريقة التي يُنفذ بها هذا العقاب والتي تتطابق مع المصادر التاريخية التي تخصّ عملية الصّلب في الإمبراطورية الرومانيّة، كما في الآيات الكتابية التي تروي قصص الآلام: مت1:27-2، 11-61، مر1:15-47، لو1:23-56، يو18:28-19:37. وإنطلاقاً من حدث الصّلب التاريخي، وارتباطه بالقيامة سيختلف ويتغيّر معنى الصّليب في تاريخ البشريّة جمعاء. ولكي نفهم جوهر الصّليب المسيحي ينبغي معرفته من خلال الإيمان المسيحيّ القويم عبر التاريخ "الكنيسة الأولى"، وذلك من خلال النصوص الكتابية.

ثانياً: الصّليب لغويّاً

الصّليب (σταυρός): في اللغة اليونانية هو أسم مُذكر مفرد في حالة النصب. كما في الآيات التالية: مت10:38، 16:24، 27:32، 40، 42. مر8:34، 15:21، 30، 32. لو9:23، 14:27، 23:26. يو19:17، 19، 25، 31. 1كو1:17، 18. غل5:11، 6:12، 14. أف2:16. فل2:8، 3:18. قول1:20، 2:14. عب12:2.

أما في حالة الفعل: يصلب، صلّب، مصلوب (σταυρόω): والحالات تتعدّد حسب القواعد اللغويّة. كما في الآيات التالية: اس7:9، 8:12. مت20:19، 23:34، 26:2، 27:22، 23، 26، 31، 35، 38. 5:28. مر13:15، 14، 15، 20، 24، 25، 27. 6:16. لو23:21، 23، 33. 7:24، 20. يو19:6، 10، 15، 16، 18، 20، 23، 41. اع2:36، 4:10. 1كو13:13، 23، 2:2، 8. 2كو13:4. غل3:1، 5:24، 6:14. رؤ11:8.

كثرة ورود هذه الآيات، التي تخصّ كلمة الصّليب سواء كأسم أو كفعل، في العهد الجديد تشير إلى المكانة التي أخذها الصّليب في الكنيسة الأولى.

ثالثاً: الصَّليب في الكتاب المقدس

توصلت بعض المصادر والدراسات الكتابية، للقول أنّ بعض الأحداث الكتابية تحمل رموز أو إشارات تدل على مفهوم الصَّليب. وأكثر من ذلك فأَنَّ علم الآثار: "في سنة 1873، على جبل الزيتون، اكتشفت حجارة قبور تحمل كتابات باليونانية والعبرية، ترقى إلى عهد يسوع. والصَّليب الذي كان يرافقها دفع الناس إلى التفكير في أن الأمر يتوقف على مدافن مسيحية. وبفضل بحوث آثاره استمرت منذ سنة 1945، نعلم اليوم أنه في نحو القرن الأول بعد المسيح كانت القبور اليهودية كانت تُزين بالصَّليب. فكان لا بُد من قبول هذه البدهة: أن الصَّليب كان متواجداً في البيئة اليهودية. فكيف نفهم هذا التصادف؟ النبي حزقيال في سفره يعطينا المفتاح: "وقال له الرَّبُّ: ((إجتز في وَسَطِ المدينة، في وَسَطِ أُورَشَلِيم، وأرسم صليباً² "וַרְשׁוּם וַשְׁמַא³ 4-amvwr ~wvrv على جباه الرجال الذين يئنّهون وينتحبون على كلِّ القبايح التي صنعت في وَسَطِهَا)) (4:9)⁵. تبدو هذه السمة بشكل "صليب" مما جعل أوريغان وجيروم يرون فيها إشارة الصَّليب التي تُرسم على جباه المعمدين⁶. يعتبر هذا النص الدليل الواضح للإشارة أنّ علامة الصَّليب نجدها حاضرة في الكتاب المقدس "العهد القديم". ولكن مهما يكن سيبقى معناها محصوراً ومحدوداً، مقارنة بالمعاني اللاهوتية التي اضافها العهد الجديد والتي تنص عليها معظم التفاسير ومنها: كلمة الصَّليب تعني كل عمل الفداء الذي أكمله يسوع المسيح بموته. كلمة الصَّليب تعني المُصالحة. الصَّليب هو رمز اتحادنا مع المسيح، ليس فقط في اقتدائنا به. إن الإنسان القديم قد صُلب، من خلال المصلوب. شجرة الحياة ورمزيتها لشجرة الصَّليب... الخ.

²- الترجمة اللفظية: "الناو". في الأبجدية القديمة، كان هذا الحرف على شكل صليب. النص العبري طبعة شتوتغارت.

³- الكتاب المقدس "البسيطة" بحروف عبرية-جامعة ليدن الهولندية.

⁴- الكتاب المقدس "البسيطة" طبعة جامعة ليدن الهولندية.

⁵- جوزيف راتسنجر (البابا بندكتي 16)، روح الليتورجية، الطبعة الأولى، منشورات إبيارشية أربيل الكلدانية، أربيل، 2016، الصفحة 153-154.

⁶- بولس الفغالي (الخوري)، حزقيال من الكاهن إلى النبي من أورشليم إلى بابل، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة البولسية، المجموعة الكتابية، بيروت، 2015، الصفحة 120.

رابعاً: الصَّليب في الليتورجية المشرقية "كنيسة المشرق":

ان الليتورجية المشرقية ليتورجية قائمة على الصَّليب، ومؤسسة على لاهوت القيامة الذي تحقق بالصَّليب "الصَّليب علامة للقيامة". وقد أصبح الصَّليب الشاهد الحقيقي والفعل والفاعل في حياة الشعب المؤمن الذي يتبع الصَّليب لأنه يتبع المصلوب عليه وهو عينه الصَّليب ذاته. سنستعرض أهم المعاني والمفاهيم والرُتب الطقسية التي تتمحور وترتكز على الصَّليب في ليتورجية "كنيسة المشرق". كما في النقاط التالية:

1. رياضة كنيسة المشرق

أنّ ما تتميز به رياضة "كنيسة المشرق" هو أن كنائسها تُبنى متجهة نحو الشرق. وأنّ قُدس اقداسها يحتوي على صليب كبير يعلو المذبح من الجهة الشرقية، ونحوه تتجه كل الصلوات ويكون الجميع المؤمنون والاكليروس متجهون نحوه، وهذا يتطابق أيضاً مع رياضة بيت العماد في ليتورجية العماد، وكذلك في مراسيم الجناز، التي تقتضي فيها أن يوجّه وجه المتوفي أثناء دفنه نحو الشرق. "اتجاه الشرق والصَّليب"، هُما مفهومان لحقيقة واحدة هي؛ أن يسوع المسيح حاضراً معنا في كل زمان ومكان. إذاً الاتجاه نحو الشرق يعتبر من قوانين الرُّسل، ويرتبط بالنصوص الكتابية، "مثل البرق الذي يخرج من المشرق ويظهر حتى في المغرب هكذا يكون مجيء ابن الإنسان" (مت 24/27). كذلك صعود الربّ إلى السماء، فقد كان وجهه صوب المشرق، قال لهم الملاك: "أن يسوع هذا الذي صعد إلى السماء سيأتي كذلك كما رأيتموه يصعد أمامكم" (مر 13/23-27). لقد بين E. Peterson "أنّ اتجاه الصلاة هذا نحو الشرق، هو الذي يجعل من الكون علامةً للمسيح وبالتالي مكاناً للصلاة، قد تمّ تأكيده منذ القرون الأولى برسم الصَّليب على الجدار الشرقي للأبنية التي كان المسيحيون يجتمعون فيها. في هذا الصَّليب الاحتفال المنتصر بالمسيح العائد يمتدّ على نحو ما إلى جماعة المؤمنين الذين، من خلال اتّجاههم نحو الشرق، يعلنون أنّ الهيكل قد تمّ

تجاوزه، وأنّ المسيح هو الهيكل الحقيقيّ وحاضر العالم ومستقبله⁷. إذًا، المسيح حاضرٌ بين مؤمنيه بصليبه المُمجد الذي يعتبر العلاقة الحقيقية بشخص يسوع المسيح والشوق الدائم إلى مجيئه القريب. ورياسة كنيسة المشرق تحتفظ بهذا التقليد الكنسي منذ نشأتها، أي تتوجه إلى الشرق وفي نفس الوقت تحتفظ بالصليب الذي يعلو في الجهة الشرقية من بناء الكنيسة. كذلك، تتميز ريادة كنيسة المشرق "بالبيم"، الذي يقع في منتصف الكنيسة ويرمز إلى أورشليم لكونها مركز العالم بحسب النبي حزقيال "وهكذا قال الربّ: هذه أورشليم قد جعلناها في وسط الأمم ومن حولها الأراضي" (حز 5/5). ما يهمننا هو أن على "البيم" توجد منصة خشبية صغيرة، يضعون عليها الصليب والإنجيل باتجاه الشعب لكي يُسجد لهما، وتدعى هذه المنصة "الجلجلة". إذًا، أصبح الصليب مركز العالم وإليه تتوجه كل الشعوب والأمم وتُسجد له، ومع كلام الربّ "البشرى السارة" الإنجيل الذي يُرافق الصليب.

2. الصليب في السنة الليتورجية: سابع مار إيليا والصليب "عيد الصليب"

أن الأزمنة الليتورجية في كنيسة المشرق تنقسم إلى تسعة أزمنة تكون متفاوتة في عدد الأسابيع، فزمن مار إيليا والصليب هما في الزمن السابع من السنة الطقسية. وهي أزمنة مزدوجة أي أن زمن مار إيليا يتكون من سبعة أسابيع، وزمن الصليب يتكون من أربعة أسابيع، لكن العدد الكلي لهذه الأسابيع هي سبعة فقط، السبب في المعنى اللاهوتي لزمن "مار إيليا والصليب". يُحتفل خلال هذه الفترة بعيد التجلي بتاريخ 6 آب، يحيي هذا العيد حادثة تجلي يسوع محاطاً بالنبي إيليا ممثل الأنبياء كافة الذين تنبؤوا عن مجيء المسيح الموعود، والنبي موسى الذي يمثل الشريعة التي كانت تهدف إلى إعداد البشر لمجيء المُخلص (مت 1/17-8)، لذا يجب أن يحتفل بهذا العيد بعد زمن إيليا وقبل زمن موسى. يرمز عيد الصليب إلى مجيء يسوع للمرة الثانية، بما أن النبي إيليا يسبق مجيء المسيح ليُحارب ابن الهلاك ويكشف ضلاله، كما قال الله على لسان النبي ملاخي: "هو ذا أرسل إيليا النبي قبل أن يأتي يوم الربّ العظيم الرهيب" (ملا 3/23). ومن ثم يظهر يسوع تسبقه علامته، أي صليبه، كما في (مت 29/24-31)، لذا

⁷الكاردينال جوزيف راتسينجر "البابا بندكتوس السادس عشر، الإسخوتولوجيا الموت والحياة الأبدية، الطبعة الأولى، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 2011، الصفحة 22.

يجب أن يسبق الأحد الأول من زمن إيليا الاحتفال بعيد الصَّليب⁸. تتمحور الليتورجية في هذه الأزمنة على المفهوم الإسكاتولوجي "الأوآخري"، وعلى تحقيق المجيء الثاني منذ الآن، من خلال "الصَّليب الذي هو يسوع نفسه"، وباكتمال ملئ الزمان بيسوع المسيح المُخلص الكوني. لذا نجد ان المعنى اللاهوتي للأعياد المارانية يتمحور حول مفهوم "التدبير الخلاصي" الذي حققه يسوع بذاته ومن خلاله، أي إنه يجمع بين الزمن الحاضر والماضي والمستقبل، لأنه محور الزمن ويجمع بين كل الأبعاد.

تحتفل كنيسة المشرق-الآشورية في 13 من أيلول بعيد الصَّليب، "يوم اكتشاف الصَّليب". بحسب المؤلف المجهول القرن التاسع.

أن ليتورجية عيد الصَّليب لكنيسة المشرق (صلاة الرمش والليل والصبح)، بحد ذاتها تُعتبر مصدراً مُهماً لفهم الصَّليب في كنيسة المشرق. وخاصة التراتيل التي تم تأليفها فهي في خط "الوحي الإلهي"، منذُ خلق الإنسان وإلى الآن. فكثير من التراتيل تُعبر وتُفسر أن المُخلص كان معنا، وبه تم خلق كل الخلائق في الكون. مثال: "بالصَّليب أوجدت الخلائق. وبالصَّليب قامت الخلائق. وبالصَّليب خلص الخلائق. خالق الخلائق". كذلك: "شجرة الحياة التي كانت منصوبة في الجنة كانت ترمز إلى الأبن الذي بصليبه كان مستعداً ليخلص الجنس الهالك"⁹. وبمقارنتها مع النصوص الكتابية سنجد أنها تُفسر الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. لذلك ندع القارئ المُهتم مراجعة كتاب الحوذرا الطقسي.

ملاحظة مهمة: أن رتبة السلام الاحتفالي لعيد القيامة، تتمحور حول الصَّليب المُمجّد، وترتيلة "بصلبه"¹⁰.

3. الصَّليب في طقس العماد

أن ما نجده من ترتيب في قُدس الأقداس، يتفق مع ما نجده في بيت العماد، لكن بتفاصيل مُختلفة إلى حدٍ ما. السبب هو أن بيت العماد بجانب قدس الأقداس للكنيسة وعلى الصف ذاته. كون أن العماد هو المدخل الرئيسي والأساسي لجميع أسرار الكنيسة ومنها

⁸-جاك إسحق (المطران)، الصلاة الليتورجية على مدار السنة الطقسية لكنيسة المشرق الكلدانية-الآشورية، الطبعة الأولى، منشورات دار نجم المشرق، بغداد، 2011، الصفحة 169-170.

⁹-كتاب الحوذرا الطقسي، طبعة درمو، الجزء الثالث، زمن الصَّليب-عيد الصَّليب، صلاة الليل-المجلس الأول-ترتيلة صومحة، الصفحة 705-706.

¹⁰-راجع المجلة الليتورجية، السنة العاشرة-العدد (37-38) -2017، الصفحة 43-50.

الإفخارستيا. يكون موقع الصَّليب في ليتورجية العماد في بداية المذبح. "أقيم مذبح في صدر قدس الأقداس، يضعون عليه كتاب رتبة العماد وكتاب الإنجيل الطاهر والصَّليب المُقدس،... يحمل الكاهن هذا الصَّليب خلال الرتبة، ويُبارك به ماء المعمودية والمؤمنين خاصة طالبي العماد. يتوجه وجه طالب العماد صوب الصَّليب الموضوع على المذبح خلال الرتبة"¹¹. تُعطي هذه النظرة إلى الصَّليب البُعد الإيماني لكل مسيحي، "لأن الصَّليب هو بمثابة الرب"¹²، والصَّليب هو في مقدمة الاحتفال في رتبة العماد، "يخرجون من قُدس الأقداس مع الصَّليب، بمعنى هكذا نزل المسيح من السماء"¹³. ليؤكد على معنى الإلتباع منذُ الآن، ليتذكر الآلام والموت والقيامة. والمُعمد ينبغي أن يتبع الربّ وذلك من خلال الصَّليب. أما مرحلة إعداد جرن العماد، في ليتورجية رتبة العماد، تنص على سكب الماء في جرن العماد، ومن ثم يكسون الجرن بمنديل، ويضعون الصَّليب والإنجيل عليه. وسنفسر ذلك من خلال ليتورجية الإفخارستيا التي سنتطرق إليها من خلال شرح معنى الصَّليب وكتاب الإنجيل. التي هي من ضمن المعنى اللاهوتي الموحد في التفسير الليتورجي. لم نتطرق إلى رسم الصَّليب في رتبة العماد، لأن هناك الكثير من "رسم علامة الصَّليب"، مثال: على المعمد، على الجمع، في رتبة تقديس الزيت وكذلك رتبة تقديس الماء، العماد من خلال رسم علامة الصَّليب على جباه المعمدين وعلى أجسادهم "صدورهم" في مرحلة المسحة بالزيت المقدس. كانت هذه محاولة سريعة لإيضاح موقع الصَّليب المنظور في رتبة العماد، معناه ودلالته.

4. الصَّليب في القداَس الإلهي لكنيسة المشرق

رتبة إعداد الخُبز الإفخارستي: تتكون هذه الرتبة من مرحلتين، الأولى إعداد العجينة، والثانية عملية خبز الخُبز. ما يهمنا من هذه الرتبة هي المرحلة النهائية أي مرحلة إعداد العجينة، فبعد الانتهاء من العجن، يقوم الكاهن بطبع إشارة الصَّليب على العجينة في خمس مواضع: أولاً في

¹¹-جاك إسحق (المطران)، رتبة العماد في كنيسة المشرق الكلدانية-الأنثوية دراسة طقسية تحليلية، الطبعة الأولى، منشورات دار نجم المشرق، بغداد، 2007، الصفحة 109.

¹²-المصدر السابق، الصفحة 133.

¹³-connolly، *سنة المجمع الكلداني-الجزء الثاني*، الطبعة الأولى، CSCO، روما، 1889، الصفحة 99.

الوسط، ثم من جهة الشرق والغرب، والشمال والجنوب. أي أن الكاهن يختم العجينة كلها بختم الصليب، فما معنى هذا الختم؟ أن الدلالات الكتابية لمفهوم الختم بحسب اللاهوت الكتابي تُشير إلى عدة مفاهيم أهمها، "أنه رمزٌ للشخص (سي 5/32-6 بحسب النص اليوناني)، علامة لسلطته وهويته، (تك 18/38، 42/41، 1مك 15/6). وتكمن القيمة اللاهوتية والجوهرية "لمفهوم الختم" عندما يقول المسيح إنه قد مسح بختم أبيه (يو 6/27)، لأنه خاتم الآب هذا على ابن الإنسان، لا يعني فقط السلطة التي يمنحه إياها لإكمال عمله (يو 5/32 و36)، ولكن يعني أيضاً التكريس الذي يجعل منه ابن الله (يو 10/36)¹⁴. فالختم يحمل علامة الصليب التي هي شخصية يسوع المسيح بذاته، وهذه العجينة أصبحت موثقة ومُصدقة، بأنها جسد الرب منذ الآن. وكل هذا يتحقق من خلال الصليب الحي "يسوع المسيح". ضرورة وجود الصليب والإنجيل على المذبح أثناء التقديس: القول لجبرائيل القطري: "أن الصليب والإنجيل الموضوعين على المذبح، وفوقهما أيقونة ربنا، التي بواسطتها تتقدس الأسرار المُهيبة، تقوم مقام شخص ربنا". وكذلك: "إذ عوض شخص ربنا نضع الصليب والإنجيل على المذبح، وعوض الخبز والخمر اللذين أعطاهما، نضع الخبز والخمر، لذا لا يجوز مطلقاً تقديس الأسرار المقدسة بدون وضع الصليب والإنجيل وأيقونة ربنا قريباً"¹⁵. وهذا ما يتطابق أيضاً في ليتورجية العماد حينما نضع الصليب والإنجيل على جُرن العماد، التي من خلالها يُحقق المؤمن إيمانه بأن جميع المياه قدست بيسوع المسيح يوم عماده. التطواف من قُدس الأقداس إلى البيم وترتيلة قُدس الأقداس (ܚܘܒܘܠܐ ܕܚܘܒܘܠܐ): تُرتل هذه الترتيلة بحسب المُفسرين أثناء التطواف من قُدس الأقداس إلى البيم. الترتيلة تنص على مقطعين؛ المقطع الأول يخص المناسبة التي فيها يجري الاحتفال بالقداس الإلهي، والمقطع الثاني يُعبر عن معنى الصليب، لأن التطواف مرتبطُ به. يقول جبرائيل القطري مفسراً: "ان الكهنة والشمامسة وحاملي الصليب والشمعتين والمبخرة كانوا يشتركون جميعاً في التطواف، وكانوا ينشدون خلاله ترتيلة قُدس الأقداس"¹⁶. القول لجبرائيل القطري أيضاً: "إن إخراج الصليب من بيت قُدس الأقداس رمزٌ لإخراج يسوع إلى البرية وصراعه مع الشيطان (مت 11/4-11)"، "وإن إصعاد الصليب إلى البيم برفقة الشمامسة والكهنة رمزٌ لصعود يسوع مرات

¹⁴-مجموعة من المؤلفين، معجم اللاهوت الكتابي، الطبعة السادسة، منشورات دار المشرق، بيروت، 2008، الصفحة 298-299.

¹⁵-جاك إسحق (المطران)، شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية-الأثرية وضعه الربان جبرائيل بن ليفي القطري حوالي 615م، الطبعة الأولى، منشورات دار نجم المشرق، بغداد، 2012، الصفحة 112.

¹⁶-جاك إسحق (المطران)، القداس الكلداني دراسة طقسية تحليلية، الطبعة الثانية، منشورات دار المشرق، بغداد، 2008، الصفحة 78.

عديدة إلى أورشليم برفقة تلاميذه الأثني عشر (وتلاميذه) السبعين¹⁷. يقول المؤلف المجهول: "يصطف الاكليروس داخل قُدس الأقداس، ويبقى الشماسة الرسائليون على القسطنطين، ثم يعطي الاركندياقون الإيعاز لفتح الستار، فيتقدم الشماسان الإنجيليان اللذان يخدمان القُداس، "ميخائيل" و"جبرائيل" وهما رئيسا الملائكة، ويتبعهما الشماسة الرسائليون حاملو المصابيح والشموع والمبخرة ثم الشماسة الإنجيليون، فحامل الصليب - المسيح - يبعث ببعثه بخلقته بفتح من لبعثه، ويأتي الأسقف في الأخير، وعن يساره الأركندياقون، ويسير الجميع نحو البيم¹⁸. رفع الصليب والإنجيل من البيم: "إن رفع الصليب مع الإنجيل من المنصة وإنزالهما من البيم رمزٌ لإلقاء القبض على يسوع من قبل الصالبيين، وإخراجه من أورشليم إلى المكان الذي صُلب فيه. يرمز حمل القسيس للإنجيل إلى لحاق يوحنا الإنجيلي ومرافقته ليسوع لحين الصلب. إن حمل الصليب من قبل الشماس رمزٌ لحمل الصليب من قبل شمعون القيرواني، الذي كان آتياً من الحقل (مت 27/32). يُنزل الصليب والإنجيل من على البيم بدون تطواف احتفالي وبدون مرافقة الكهنة والشماسة، لأنه، عندما قبض على يسوع وأُقتيد ليصلب، كل التلاميذ تركوه وهربوا. إن نصب الصليب في مدخل باب قُدس الأقداس رمزٌ لصلب يسوع على خشبة الصليب"¹⁹. لكن ما تطرقنا إليه في هذا النص من الليتورجية قد أهمل في كنيسة المشرق الآن، والسبب لفقدان "البيم" في ريادة كنيسة المشرق، وكذلك أدى إلى ضياع مفهوم أو الفرق ما بين القُداس الاحتفالي والقُداس الخاص بتناول القربان المقدس. لذا، لم نتطرق إلى البعد التاريخي في تطور الرتبة. أما فيما يخص المناولة: فأن أقدم التفاسير الليتورجية تنص على المناولة باليدين، نذكر منها: ترتوليانوس القرطاجي (155-222)، "يؤكد أن هذه العادة تعود إلى أيام الرُّسل، يوم كان المسيحيون ييسطون أيديهم بشكل صليب ليقتبلوا عليها القربان، فتبقى هيئة الصليب مصورة في أذهانهم"²⁰. وهذا أيضاً ما يؤكد تيوذورس المصيبي (350-428). أما بالنسبة لكنيسة المشرق فإنها تتبع قول نرساي الملفان (399-502): "...يمد الشخص الذي يقترب لتناول الجسد يديه،

¹⁷-جاك إسحق (المطران)، شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية-الأنثورية وضعه الربان جبرائيل بن ليفي القطري حوالي 615م، الطبعة الأولى، منشورات دار نجم المشرق، بغداد، 2012، الصفحة 36.

¹⁸-المصدر السابق، الصفحة 78. Connolly الصفحة 7.

¹⁹جاك إسحق (المطران)، شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية-الأنثورية وضعه الربان جبرائيل بن ليفي القطري حوالي 615م، الطبعة الأولى، منشورات دار نجم المشرق، بغداد، 2012، الصفحة 42.

²⁰-ناصر الجميل (الخوري)، الرموز المسيحية، الطبعة الأولى، بيروت، 2008، الصفحة 18.

علامة الصليب في هذه الرتبة، لكن حاولنا التركيز على الصورة المنظورة للصليب كعنصر من عناصر مراسيم الزواج في كنيسة المشرق.

خامساً: الصليب المقدس سرّ من أسرار الكنيسة السبعة:

كل الأسرار تعود بجذورها إلى الإنجيل، إلى يسوع المسيح نفسه الذي رسمها ليمارسها الرسل وخلفاؤهم، أي أنها ترتبط ارتباطاً شخصياً بشخصية يسوع المسيح بذاته وهو مُتممها ومؤسسها ومرتبطة بالتدبير الإلهي الذي تحقق بشخصه. وعلامة الصليب تُشير إلى يسوع المسيح المخلص "بذاته"، وإلى الثالوث الذي به يتقدس ويكتمل كل سرّ، أي، "مُتماً لكل الأسرار الأخرى ومكماً لها" بحسب لاهوت كنيسة المشرق. فمن المفارقة أن تكون كنيسة المشرق الكنيسة الوحيدة، التي تعتبر "علامة الصليب"، سرّ من أسرارها الكنسية، ولماذا لا يكون؟! كل ما يتحقق في الأسرار ينطبق بشكل مباشر على سرّ الصليب. إنه عملٌ مباشر قام به المخلص مثل العماد والإفخارستيا، لأن الأسرار في كنيسة المشرق مؤسسة على سري العماد والإفخارستيا. ومنهما تتبع الأسرار الأخرى. وهناك من يقول إن سرّ الصليب لا يملك مقومات السرّ! لكن ألم يكون يسوع نفسه الصليب (الصليب الحي والمُحيي)؟ ألم يكون يسوع نفسه الخُبز (الحي والمُحيي)؟ ألم يجعلنا بعماده أن نكون إخوة له (وأبناء الله بالتبني - صرحه صرحه)؟ ومن كشف لنا سرّ التجسد، إن لم يكن الصليب؟ نعم الصليب هو الكاشف عن حقيقة التجسد من خلال الحدث التاريخي وهو الصلب. لَكِنَّ واحداً مِنَ الجُنُودِ طَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ فِي جَنْبِهِ، فَخَرَجَ لَوْقَتِهِ دَمٌ وَمَاءٌ. وَالَّذِي رَأَى شَهِدًا، وَشَهِادَتُهُ صَاحِبَةٌ، وَذَلِكَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ أَيْضاً" (يو 19/24-35). "إنها شهادة على أن التجسد أمر واقعي جداً، وأن موت يسوع، في واقعته، يفتح نافذة على سرّ الخلاص المُعلن في 38/7: "كما ورد في الكتاب: ستجري من جوفه أنهار من الماء الحي". ففي موت يسوع، جُسدت ساعة تمجيده، ومُنح الروح للمؤمنين (39/7). وبقي على القارئ المسيحي أن يؤوّن الحياة التي أعطاها يسوع، في سري العماد (الولادة الثانية من الماء والروح، 5/3) والإفخارستيا

(54/6)²⁷. وكذلك نجد أنّ الكثير من آباء الكنيسة رأوا، في الماء والدم الخارجين من جنب يسوع المسيح، رمزاً لسري العماد والإفخارستيا؛ اللذين يهبان الحياة. فالتأكيد على موت يسوع المسيح وجده يوحنا مكتوباً في جسده، من خلال طعنة الرمح. وهذا يتطابق مع معنى الفداء أيضاً. والآية 32/12 من إنجيل يوحنا تضعنا في الموقع المميز لفعل الصلب والصليب بذاته. "معنى الارتفاع عند يوحنا تدل أيضاً على ارتفاع المسيح في السماوات، حيث يشاركه المؤمنون في مجده (يو23/12). وهذان المعنيان للعبارة ينطبقان أيضاً على المؤمنين اللذين يجذبهم المسيح المصلوب والمُجد. بعد ان ظفر المسيح بالموت، أشرك المؤمنين في مجده. ولكن بما أن الاعتراف يذكّر يوحنا أيضاً بالصليب، نفهم أن المسيح يُشرك المؤمنين أيضاً في الصليب"²⁸. ونستطيع القول إن هذا النص الكتابي هو أساس "العيد الصعود" لأن بالصليب رُفِعنا معه وفي نفس الوقت أصبح الطريق إلى السماء مفتوحاً بالصليب، لكن ينبغي اتباع المصلوب. وكلما تعمقنا في معرفة سرّ الصليب، سنتعرف وسنكتشف شخصية يسوع المسيح، وسنقتدي به في تحقيق مجده لأنه بصليبه قد مجدنا. ربما نستطيع الكتابة أكثر في كون أن الصليب سرّ، لكن طرحنا أهم الخطوط العريضة لفهم الصليب من منظور كنسي ليتورجي وكتابي. وخاصة أن النصوص الليتورجية مرتبطة "بالوحي الإلهي"، ومتشربة من النصوص الكتابية.

الخاتمة

أنّ المسيحية تحيا بالصليب وتتبع الصليب في كل زمان ومكان، والإيمان بالصليب يتطلب كل ما عاناه المصلوب "يسوع المسيح". لكن يبقى السؤال الذي يُطرح علينا: هل ينبغي أن نُعاني مثل المصلوب؟ الجواب يبقى مُحدداً بإيمان الفرد الشخصي ومستوى علاقته الشخصية بالمصلوب "الصليب". لا يمكن فهم سرّ الصليب إلا إذا عشت حياة المصلوب، بمعنى ما حققه لنا بشخصه وذاته، أي الفداء، التضحية، المحبة، الخلاص... الخ. هل نحن ندرك أننا معه وبه

²⁷آلان مرشدور، ترجمة الأب بيوس عفاص، الإنجيل بحسب القديس يوحنا، سلسلة أبحاث كتابية/15، الطبعة الأولى، إصدارات مركز الدراسات الكتابية، الموصل، 2009، الصفحة 248.

²⁸بولس الفغالي (الخوري)، إنجيل يوحنا دراسات وتأملات، الطبعة الأولى، دراسات ببليية، إصدارات الرابطة الكتابية، بيروت، 1992، الصفحة 310.

دخلنا المجد ورُفَعنا إلى السماوات؟ وإننا نكمل مسيرته لأنه معنا بصليبه الحي والمُحيي. الليتورجية المسيحية هي المرآة التي تعكس الحقيقة التي لا شك فيها، ومن خلالها نثبت بالفعل والعمل بما نؤمن به للجميع. حاولنا أن نُبين أهم المحاور التي تخص الصَّليب في الليتورجية المشرقية "كنيسة المشرق". وبصورة موجزة وبسيطة بعيداً عن التعقيد. وبصورة إيمانية يستطيع القارئ التأمل بالمعاني الليتورجية للصليب، مثلاً: الصَّليب في مراسيم الزواج "الشاهد الحي"، صحيح أن الزواج ليس سرّاً من أسرار كنيسة المشرق، لكن البُعد اللاهوتي واضح جداً "المصلوب-الصَّليب" هو مركز "رتبة البركة". لكن يبقى إدراك المؤمن لهذه الحقائق، العروسة تحمل معها الصَّليب كل حين ولا يُفارقها لكن هل تعني الصَّليب؟ هل تضحى، تفتدي، تُحب، تصالح، تغفر، ... الخ. من هذا المنطلق ينبغي أن يُفهم الصَّليب، ويُكتشف كل حين، لأنه سرٌّ يوصلنا إلى معرفة سرِّ التجسد وسرِّ الفداء وسرِّ الإفخارستيا والعماد، وبه تكتمل كل الأسرار.

تم نشر نص هذه المقالة في مجلة "المجلة الليتورجية" مجلة فصلية راعوية/ السنة العاشرة-العدد (39-40) -2018.